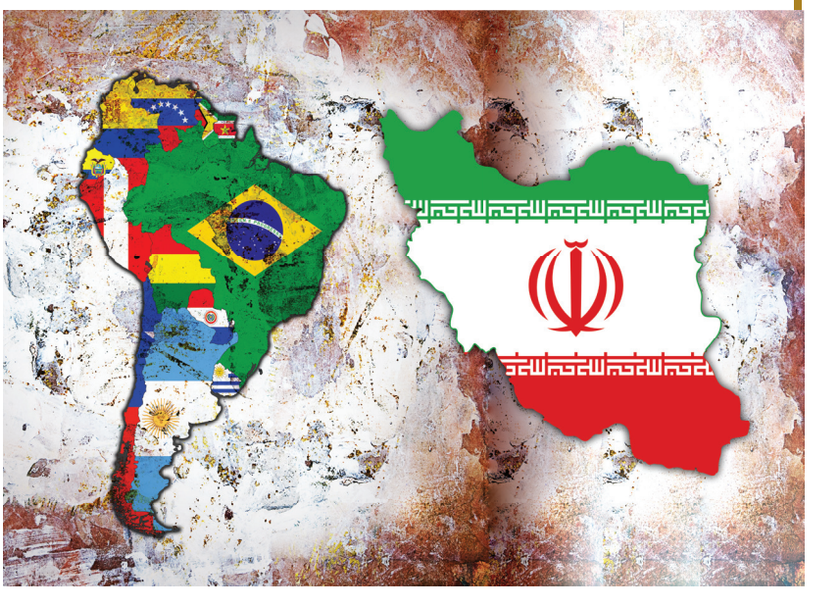

كارلوس جي جونزاليس

باحث سياسي، حاصل على ماجستير في القانون الدولي والعلاقات الدولية، وطالب دكتوراه، جامعة جرينادا، إسبانيا

مصالح ظرفية:

أسباب تراجع التأثير الإيراني في أمريكا اللاتينية

بعد ما يقرب من عقد على الوجود الإيراني المعلن في قارة أمريكا اللاتينية، ونجاح إيران في تطوير استراتيجية طموح لتعزيز نفوذها وقوتها الناعمة في المنطقة، تشهد العلاقات الإيرانية مع أمريكا اللاتينية تراجعاً ملحوظاً، لتعود بها تدريجياً إلى حالتها الطبيعية السابقة على هذا التقارب الاستثنائي. وهو ما يؤشر إلى حدوث تغير في مكونات المشهد السياسي والعوامل التي ساهمت في توطيد العلاقة بين الطرفين.

تجدر الإشارة، في البداية، إلى حقيقة أن العلاقات الإيرانية – اللاتينية لم تشهد تطوراً كبيراً إلا في النصف الثاني من العقد الماضي، فقبل هذا التاريخ، لم تكن العلاقات السياسية بين الطرفين تذكر، ولم تقم طهران علاقات دبلوماسية إلا مع عدد محدود من بلدان القارة، وكانت التجارة بين الطرفين، باستثناء البرازيل، محدودة للغاية، بل ويمكن القول إن منظمة الدول المصدرة للبترول (أوبك) كانت الساحة الوحيدة، تقريباً، التي تتلاقى فيها المصالح الإيرانية مع دول هذه المنطقة.

وقد تطورت العلاقات على نحو مفاجئ وسريع بحلول عام 2005 بسبب تغير المناخ السياسي في دول أمريكا اللاتينية، وساعدت عدة عوامل سياسية وأيديولوجية واقتصادية على إعطاء دفعه لهذه العلاقات، وهو ما أسفر، في النهاية، عن زيادة الوجود الإيراني في المنطقة وتنامي أنشطتها.

وعلى الرغم من كثافة التفاعلات الإيرانية مع دول المنطقة، وتطورها في وقت قياسي، فإنه كان وجوداً عابراً، وهو ما وضح من انتكاسة العلاقات ما بين الطرفين بسبب عدد من التطورات من أبرزها وصول حكومات جديدة إلى الحكم، سواء في إيران أو في عدد من دول أمريكا اللاتينية، وتوصل إيران والقوى الكبرى لاتفاق حول برنامج طهران النووي، وهو ما أدى لتراجع أولوية العلاقة بين الطرفين وأهمية المنطقة لإيران.

أولاً: عقد استثنائي

شهد العقد الماضي تطوراً كبيراً في العلاقة بين إيران ودول أمريكا اللاتينية، فزيارات رئيس إيران آنذاك، محمود أحمدي نجاد، إلى المنطقة (بمعدل أكثر من زيارة في كل عام)، فضلاً عن زيارات رؤساء دول أمريكا اللاتينية إلى طهران، وافتتاح مكاتب دبلوماسية إيرانية دائمة في عدة بلدان، وتوقيع مئات المعاهدات في شتى المجالات، كل هذه التحركات أعطت انطباعاً بأن علاقات غير مسبوقة واستثنائية يتم بناؤها، ومن شأنها أن تكفل نفوذاً إيرانياً قوياً في هذه المنطقة، وتشكيل تكتل دولي مناوئ للمصالح الأمريكية.

ولعل السياق الذي سمح بتنامي هذه العلاقات كان نتاج عدد من العوامل، التي اتسمت بالظرفية، وتتمثل فيما يلي:

- حاجة إيران إلى مواجهة العزلة الدولية، التي فرضتها

عليها الولايات المتحدة بموجب العقوبات الدولية الخانقة، بسبب الشك في سلمية برنامج طهران النووي.

• الطفرة في أسعار النفط في العقد الأول من هذا القرن، والتي مكنت كلاً من إيران وفنزويلا من الحصول على إيرادات نقدية ضخمة.

• وصول العديد من الحكومات اليسارية إلى سدة الحكم في أمريكا اللاتينية، وهي الأحزاب التي سعت، بدرجات متفاوتة، إلى مواجهة الولايات المتحدة وتطوير علاقات سياسية بديلة في إطار نظام دولي متعدد الأقطاب.

وقد بدأت النواة الأولى لتطوير العلاقات بعد وصول هوجو تشافيز إلى سدة الرئاسة في فنزويلا، ومع انعقاد قمة منظمة أوبك في عام 2000، في العاصمة الفنزويلية كاراكاس، حيث تلاقت مصالح الدولتين، فكلاهما قوتان نفطيتان مؤثرتان، ولهما علاقات صراعية مع الولايات المتحدة. وقد ساعد على تمدد النفوذ الإيراني تزايد نفوذ تشافيز في العديد من بلدان أمريكا اللاتينية الأخرى، ارتباطاً بوصول عدد من الحكومات اليسارية إلى سدة الحكم، فضلاً عن الدعم المالي الكبير الذي قدمه لهم[1].

ويمكن القول إن توطيد العلاقات الإيرانية – اللاتينية قد بدأ مع تولي محمود أحمدي نجاد رئاسة إيران، خاصة في ظل علاقاته الشخصية القوية مع تشافيز، والذي وصف نجاد بأنه "أخ وأحد رفقاء الخنادق"، وأصبحت أمريكا اللاتينية فجأة محل اهتمام طهران، وذلك على الرغم من قلة المصالح الاستراتيجية التي تجمع الطرفين، فضلاً عن الاختلافات السياسية والثقافية بينهما.

ولعل أوضح الأمثلة على ذلك، المناسبات والمؤتمرات الأكاديمية التي نظمها المعهد الإيراني للدراسات السياسية حول أمريكا اللاتينية في العام 2007، بالإضافة إلى المؤتمرات الثقافية حول أمريكا اللاتينية والتي انعقدت في إيران، ومنها على سبيل المثال عرض مسرحي عن بطل الاستقلال الفنزويلي رافائيل أودانيتا في جامعة أزات في العام 2006. ويضاف إلى ما سبق إنشاء طهران في عام 2011 قناة هيسبان تي في (Hispan TV)، وهي أول قناة تلفزيونية حكومية شرق أوسطية ناطقة باللغة الإسبانية[2].

أما على المستوى الاقتصادي، فقد تضاعف حجم التجارة بين إيران وأمريكا اللاتينية ثلاث مرات في أقل من عقد واحد، وتم إنشاء بنك التنمية الدولية (IDB) ومقره كاراكاس، وبنك إيران – فنزويلا الوطني (IVBB)، كما بدأ ضخ الاستثمارات الإيرانية من خلال شركات متنوعة تعمل في مختلف المجالات، ومنها البنية التحتية والتعدين والغاز والبتروكيماويات والطاقة الكهرومائية والزراعة.

وتعهدت إيران بتقديم دعم سخي إلى أصدقائها الجدد، ومن ذلك مساعدات لبوليفيا بقيمة تتجاوز المليار دولار على مدى خمس سنوات، وبناء ميناء عميق في نيكاراغوا بتكلفة تتجاوز 350 مليون دولار، فضلاً عن تقديم قرض بقيمة 200 مليون دولار للإكوادور، وإنشاء مصفاة بترول لها.

وأثمرت هذه المساعدات عن تكوين حلفاء لطهران في أمريكا اللاتينية، وهو ما انعكس في دعمهم لحقها في امتلاك برنامج سلمي للطاقة النووية، وفي الوقت نفسه، ساعد هذا إيران على تأسيس تحالفات ضمن المنظمات الدولية، ومنها منظمة أوبك، ومنظمة التجارة العالمية ومنظمة الأمم المتحدة.

> **بيد أن كل ذلك لا يمنع أن تظل مسألة الوجود الإيراني بأمريكا اللاتينية مثيرة للجدل لفترة، فلن يتبدد القلق حول الوجود المزعوم لفيلق القدس الإيراني في أمريكا اللاتينية، أو التوترات بين إيران والولايات المتحدة، ومن جهة أخرى، فإنه في المدى المنظور، يمكن الاستناد إلى مدى قوة هذا الجدل للوقوف على حجم الحضور الإيراني في أمريكا اللاتينية.**

وهكذا، وعلى الرغم من الاختلافات الكبيرة، أقامت إيران ودول أمريكا اللاتينية مصالح مشتركة، اعتقد الكثيرون أنها ستستمر لفترة زمنية طويلة، وساد جدل حول الخطر المحتمل الذي تمثله هذه العلاقة على النفوذ الأمريكي في واحدة من مناطق نفوذها الرئيسية، والتي لطالما كانت متأثرة بعقيدة مونرو، كما أثير الجدل كذلك حول رد الفعل الأميركي المحتمل[3].

وذهبت بعض الآراء إلى إن هذا الوضع يمكن أن يغير التركيبة الجيوسياسية للمنطقة، خاصة في ظل تصاعد الاتجاه اليساري المناوئ للولايات المتحدة، وهو ما دفع الولايات المتحدة في العام 2012 لكي تسن قانوناً ينص على "إنشاء استراتيجية شاملة للتصدي للوجود والأنشطة الإيرانية المعادية والمتزايدة في نصف الكرة الغربي".

ثانياً: وهم التقارب

أدت العلاقات السياسية والاقتصادية والثقافية بين الطرفين إلى ارتفاع التوقعات بصورة مبالغ فيها حول مدى التوغل الإيراني في المنطقة، غير أن العملية برمتها كانت محاطة بصخب مصطنع لا علاقة له بالواقع، فالتقارب كان ذا صبغة أيديولوجية، تدعمه مصالح ظرفية، وكانت انعكاساً لإرادة القادة السياسيين، وليس تعبيراً عن مصالح استراتيجية حقيقة، فلم يتم بناء أطر مؤسسية واضحة لهذا التعاون، كما أن نطاقها الاقتصادي كان محدوداً للغاية، وفرص نجاحها ضعيفة، وهو ما بات واضحاً الآن[4].

سياسياً، هدفت حكومة أحمدي نجاد إلى استغلال تلك

العلاقات للتأكيد أن إيران لم تكن معزولة عن المجتمع الدولي، في ظل العقوبات المفروضة عليها، كما هدف إلى أن تظهر بمظهر القوة، في ظل الاضطرابات الإقليمية التي تعصف بحلفاء إيران الإقليميين في كل من العراق وسوريا، وأن هناك تحالفات بديلة ستساعد على التخفيف من حدة تلك الأزمة.

أما اقتصادياً، فقد أدى ركود الاقتصاد الإيراني وارتفاع معدل التضخم إلى 40%، إلى إضعاف الاستثمارات الإيرانية في دول أمريكا اللاتينية، فتوقفت العديد من المشاريع التي أعلنتها إيران بسبب عدم توفر التمويل الكافي لها، كما تم نقض الوعود الإيرانية تجاه دول المنطقة[5].

وبمراجعة التبادل التجاري بين إيران ودول المنطقة، نجد أن البرازيل جاءت في المرتبة الأولى، باعتبارها واحدة من أكبر عشر شركاء تجاريين لإيران في العالم، تليها الأرجنتين، ويستحوذ كلاهما على 90% من حجم التبادل التجاري بين إيران والمنطقة، وتكشف المفارقة أن حجم التجارة بين دول أمريكا اللاتينية وإسرائيل بقيت قريبة من حجم تجارتهم مع إيران خلال العقود الماضية.

من ناحية أخرى، اصطدمت إيران بالواقع السياسي المعقد في أمريكا اللاتينية والذي يعاني من انقسامات كبيرة، بعضها ذا طابع أيديولوجي، إذ تنقسم دول القارة بين دول تتبنى التوجهات الرأسمالية الليبرالية، وتلك التي تتبنى التوجهات الاشتراكية، ناهيك عن الدول التي تتبنى السياسة البرجماتية التقليدية، وقد أقامت إيران تحالفاتها مع الكتلة الاشتراكية بقيادة فنزويلا، غير أن تلك التحالفات كانت ضعيفة، وارتبطت بتوجهات القيادة الشخصية.

وبالإضافة إلى ما سبق، فقد شهدت تلك العلاقات تراجعاً في الفترة الأخيرة ارتباطاً بجملة من التطورات أهمها وفاة تشافيز، وأزمة فنزويلا وضعف ما يسمى بالكتلة البوليفارية الاشتراكية، ثم بروز تكتلات إقليمية مثل الحلف الباسيفيكي، والتحول في موقف حكومة البرازيل من العلاقات مع طهران، فضلاً عن وصول حسن روحاني إلى رئاسة إيران، وإبرامه الاتفاق النووي مع القوى العظمى، وهي كلها عوامل أدت لتراجع النفوذ الإيراني بالمنطقة.

ثالثاً: إمكانيات كامنة وعلاقة غير محسومة

يبدو أن التوجه الإيراني نحو أمريكا اللاتينية قد وصل إلى نهايته. فهذه المغامرة، وبسبب طبيعتها المصطنعة، تفتقد مقومات استمرارها، وستعود العلاقات ببطء إلى حجمها الطبيعي، التي تتسم بالمحدودية، والتي لا تمثل تهديداً للترتيبات الجيوستراتيجية الراهنة، كما سعت في الماضي.

بيد أن كل ذلك لا يمنع أن تظل مسألة الوجود الإيراني بأمريكا اللاتينية مثيرة للجدل لفترة، فلن يتبدد القلق حول الوجود المزعوم لفيلق القدس الإيراني في أمريكا اللاتينية، أو التوترات بين إيران والولايات المتحدة[6]، ومن جهة أخرى، فإنه في المدى المنظور، يمكن الاستناد إلى مدى قوة هذا الجدل للوقوف على حجم الحضور الإيراني في أمريكا اللاتينية.

ومن جهة أخرى، فإن النفوذ الإسرائيلي في المنطقة، وتصاعد الجدل حول قضية اغتيال المدعي العام "ألبرتو نيسمان" في الأرجنتين، واتهام إيران بالتورط فيها، والأخبار حول الاختراق الإيراني المزعوم في المنطقة لأغراض إرهابية، ستكون أيضاً من العوامل المهمة في إعادة تشكيل العلاقات مع إيران في عهد الرئيس روحاني.

واستناداً إلى ذلك، فإن علاقات إيران مع أمريكا اللاتينية تواجه تحولاً جديداً يتسم بالغموض[7]. خاصة مع تآكل المرتكزات التي قامت عليها العلاقة بين الطرفين، وتعتمد استمرارية وفعالية الروابط بين الجانبين على مدى قدرة طهران وشركائها الإقليميين على التكيف مع الظروف الجديدة، وتطوير علاقات أقل أيديولوجية وأكثر برجماتية[8].

1- Jaime Daremblum, **Iran and Latin America**, (Washington, D.C.: Center for Latin American Studies, Hudson Institute, 2011), pp. 3 – 6.

2- Jean-Jacques Kourliandsky, "Irán y América Latina: más cerca por una coyuntura de futuro incierto", **Nueva Sociedad**, no. 246, Julio – Agosto, 2013, http://nuso.org/articulo/iran-y-america-latina-mas-cerca-por-una-coyuntura-de-futuro-incierto/ (accessed August 14, 2015).

3- Cynthia Arnson et al., Iran in Latin America. Threat or 'Axis of Annoyance'?, **Woodrow Wilson Center Reports on the Americas**, no. 23, 2011, pp. 13-16.

4- Sergio Moya, Iran and Latin America: Vital Interests and Soft Power Strategy, **Reportes del CEMOAN**, no. 4, 2012, pp. 7 – 8, accessible at: http://biblioteca.icap.ac.cr/BLIVI/COLECCION_UNPAN/BOL_ABRIL_2013_61/ESCUELA_RI_UNA/2012/Resportes_CEMOAN_N4.pdf (accessed August 14, 2015).

5- United States Institute of Peace, "Iran's Influence in Latin America", **The Iran Primer**, March 18, 2015, http://iranprimer.usip.org/blog/2015/mar/18/irans-influence-latin-america, (accessed August 17, 2015).

6- Brandon Fite and Chloe Coughlin-Schulte, **U.S. and Iranian Strategic Competition. The Impact of Latin America, Africa, and the Peripheral States,** (Washington, D.C.: Center for Strategic & International Studies, 2013), p. 11.

7- Rebecca Lullo, "Leaving Behind the 'Axis of Unity': The Future of Iranian – Latin American Relations", **Council on Hemispheric Affairs (COHA),** August 5, 2013, accessible at: http://www.coha.org/leaving-behind-the-axis-of-unity-the-future-of-iranian-latin-american-relations/, (accessed August 28, 2015).

8- Paulo Botta, "Brasil, ¿el nuevo mejor amigo de Irán en América Latina?", **Red de Seguridad y Defensa de América Latina - RESDAL**, no. 36, Mayo de 2010, http://www.resdal.org/newsletter/newsletter-RESDAL-Numero-36-mayo-2010.pdf, (accessed August 21, 2015).